

الشهابية - حقبةٌ تجب دراستها جيداً * زياد الحايك

"الشهابية". كلمة لطالما أزعجتني. كيف لا، وهي تتصل بالرئيس فؤاد شهاب الذي هادن عبد الناصر، ذاك الزعيم الذي سعى الى تذويب الكيان اللبناني في دولة تابعة للإتحاد السوفياتي رمز الديكتاتورية والتعسف؟



كيف لا، وهي التي حدّت من الحريات وأنتجت "المكتب الثاني"؟ كيف لا، وهي التي أخرجت لبنان من حضن الغرب والتطور والحضارة العالمية ورمته في مستنقع الشرق والتخلف والقضايا العنثية؟ كيف لا، وهي التي أنجبت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إتفاق القاهرة، أساس الحرب اللبنانية؟

"الشهابية". كلمة لطالما أزعجتني و... لطالما أثارت حشريتي. لماذا يحنّ إليها كثيرون من اللبنانيين؟ لماذا ترسخت في العقول؟ لماذا استحوذت على ولاء اشخاص من كل الطوائف؟ كيف صارت ترمز الى زمن جميل بلغ فيه لبنان ذروة التقدم قبل الانزلاق في أتون الحرب؟

الشهابية حقبة كنت أعرف أنني سأدرسها يوماً ما، ولو حاولت إبعاد هذا اليوم عني. وإذ بالصديق أنطوان سعد، يزج "الشهابية"، كتاب مروان حرب، بين يديّ مؤخراً، ويلخّ ويكاد يأمرني بأن أقرأه "وبتمعن!"... لا مفر. ها قد أتت الساعة. يارب إغفر لأنطوان، فهو لا شك يعلم ماذا يفعل!

فالرواية التاريخية معروفة وتولّي منصب الرئاسة من. لم تغرّر قراءة الكتاب من نظرتي للشهابية بادئ ذي بدء قبل فؤاد شهاب بعد كميل شمعون يشبه تولّي ليندون جونسون هذا المنصب من بعد جون كنيدي. من يمكنه أن يفضل الشخصية الباطنية التي تسعى من وراء الابواب لسن القوانين الاجتماعية على الشخصية الكاريزماتية ذات الطلة البهية والزوجة العصرية، والتي تتواصل مع طموح المرء لحياة أفضل كأنما بصورة عضوية؟

ولكن شيئاً فشيئاً بدأت تتكون لدي صورة غريبة أساسها ليس الشهابية بل شخصية الرجل فؤاد شهاب.

من هو هذا العسكري الذي يكتب مقالات في العمل المسيحي؟ من هو هذا الجندي الذي يطالع مجلة "Témoignage Chrétien"؟

ولماذا يأتي براهب دومينيكاني ليساعده على وضع خطط اقتصادية وتنموية؟ كيف يفسره علم النفس وكيف يراه علم الاجتماع؟

وهل أسأت فهمه حين اعتبرته خانناً لطائفته وصديقاً للطغاة وعدواً للحريات؟

لقد رأيت فؤاد شهاب الرجل من خلال كتاب مروان حرب بشكل لم أكن أعرفه. رجل خاض غمار السياسة من رجل قد يمكن القول عنه إنه من التكنوقراط. دون أن يعشقها أو أن يطمح الى توريثها لقريب من بعده (والعسكر هم تكنوقراط، ولو خرج اختصاصهم عن الحياة المدنية). درس ما يجب فعله لتحسين حياة المواطن في بلاده، وقام بما يلزم لسن القوانين ووضع التنظيمات واصدار القرارات التي من شأنها أن تحقق الاهداف المرجوة. جمع من حوله فريق عمل من الشباب، شهد له التاريخ بالمهنية، وأعطى لكل واحد منهم مهمة حاسبه على نتائجها. أدخل مفهوم التخطيط والادارة الرشيدة الى ادارات الدولة. سهر على تحسين الخدمات وعلى تحسين البيئة وعلى تحسين الاقتصاد. أبعد السياسة عن ما لا شأن للسياسة فيه، فأنشأ أول هيئة قطاعية منظمة هي الهيئة المنظمة للقطاع المصرفي والتي تُعرف بمصرف لبنان. وضع أسساً متينة لشبكة حماية اجتماعية عبر الضمان الاجتماعي وغيره من الصيغ. وترك لبنان في وضع أفضل من الوضع الذي استلمه فيه.

أين نحن اليوم من كل هذا؟! أين فريق العمل التكنوقراطي؟ أين التخطيط؟ لا بل لأي أهداف نخطط؟ لماذا تنجر حكوماتنا من مشكلة الى أخرى كمن يجزه السيل؟ لماذا لا تتحكم حكوماتنا ببرنامج عملها؟ من لديه خطة مستقبلية اقتصادية اجتماعية للبنان؟ من هم السياسيون الذين يتكلمون لغة المستثمرين والاسواق العالمية؟ من يحلل بالأرقام سبل خلق فرص العمل؟ من يفكر بالمواطن وسبل عيشه؟ من سيقود البلاد الى مستقبل أفضل؟ من ومن ومن؟

نعم، إن الوضع الاقليمي يؤثر فينا. لكنه يؤثر فينا لأننا نسمح له بالتأثير فينا. لأنه ليس لدينا الوعي الكافي لعدم الانجرار في متاهات الآخرين. لأن البعض منا يرى في لعبة المحاور سبيلاً له للإستقواء على الآخر. لأن...

كم يلزمنا اليوم من يستطيع أن يقود البلاد الى برّ الأمان!!

لقد حلم ميشال شيجا بلبنان سويسرا الشرق. وهو حلم ما زال يراود الكثيرين منا. ما لم أعه في السابق هو أن فؤاد شهاب كان، بفضل سياسته الحكيمة، ولو لم يجاهر بذلك صراحة، أهم وأنجح الذين عملوا لتحقيق هذا الحلم.

عذراً فؤاد شهاب عن موقفي السابق منك...

*الأمين العام للمجلس الأعلى للخصخصة